

سيهيات الخطاب الإشهاري التونسي

توطئة

ينحدر الخطاب الاشهاري التونسي من تلك المحاولات الإعلامية الإذاعية و التلفزية قصد تعريف الفرد بثقافة السوق والاستهلاك. وهو مسار يختلف إلى حد بعيد عما هو سائد في أوروبا ، يعود السبب في ذلك إلى عوامل عديدة ، أهمها حداثة النظام الاقتصادي التونسي الذي أخذ يتحسّس طريقه مع أواخر الخمسينيات متأثراً بالثقافة الإشهارية الغربية، وعلى وجه الخصوص الفرنسية، حتى إن بعض الخطابات الإشهارية تتوجه إلى المواطن التونسي انطلاقاً من فروع مؤسساتها التجارية، لكن تكريس الثقافة الإشهارية في تونس أصبح أمراً قائماً في ذلك التوجه الاقتصادي المتمثل في المؤسسات الاقتصادية والتجارية الصغيرة، ترتّب عنه مشروع إشهاري ينهل من روافد ومنطلقات غربية. وهي مرحلة حاسمة ساهمت إلى حد بعيد في إرساء قواعد نظام إشهاري يحتكم إلى تقنيات عالمية عالية، وإلى رؤى إبداعية محلية خلّاقة تراعي خصوصية المجتمع التونسي، منطلقة من تصورات تأخذ في الاعتبار تطلعات الفرد وتعمل على تصوير عالمه في فضاء إبداعي تكون فيه الكلمة للصورة ولجميع المؤثرات المصاحبة، أين يجد المشاهد فضاء أرحب تتوطد فيه علاقته بالمنتج الجديد.

كما تسعى المؤسسات الإشهارية الحالية إلى تطبيق العديد من التقنيات قصد تفعيل العمل الاشهاري، معتمدة في ذلك على « القنوات الإذاعية وما يبرمج فيها من أنشطة إشهارية تتم دراستها وفق طرق مختلفة ، أهمها تحليل المادة المقدمة وربطها بالبرامج الإشهارية للقنوات الفضائية»¹. ومن الناحية التقنية يرى فاروق كتّو « ضرورة خلق رؤية اشهارية تعتمد مخططات محكمة ماليا وعمليا تمثل إستراتيجية يتحدّد فيها الهدف الاستهلاكي»²

¹ Farouk KATTOU. Mesures d'audiences des chaines de télévisions. Brochure. P5.

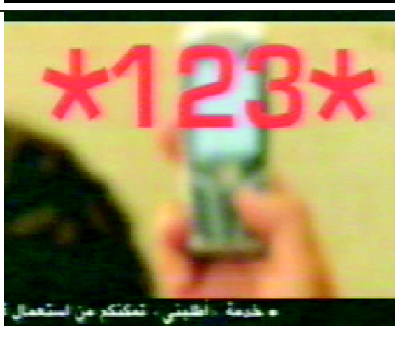
² Ibid. P.6.

إن القفزة النوعية التي قطعها الخطاب الإشهاري التونسي أساسها التكريس الفعلي للمشروع الإشهاري واستيعاب جميع الحوافز والمقومات الكفيلة برسم مساريستند إلى العديد من الرؤى والدراسات بما في ذلك

« التجربة الغربية والدراسات الميدانية ذات الطابع الاستطلاعي لمعرفة دقائق الفعل الإشهاري ومدى استقطابه للمشاهد بحسب المكان الجغرافي والفترة الزمنية »

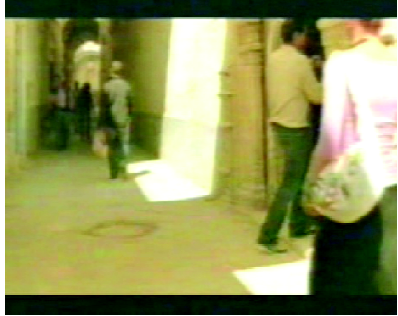
الرقم	اللقطة	الحدث و التحول	الصوت
01		الخباز يسلم طبق الحلويات للشاب .	صوت نسائي خارجي (Voix off) «أطلبني»
02		الشاب يجوب زقاقا و هو يحمل الطبق	صوت خارجي : "أطلبني خدمة تونيزيانا جديدة
03		يجوب زقاقا من أزقة تونس القديم	(إلي تتمكنك باش تتواصل)

"بألي تحب عليه" صوت خارجي Voix off	يصل أمام باب كبير وقد بدت عليه ملامح الابتهاج		04
"حتى كان كتك مافيمش حق appel" كتك = إحتجت	يطرق الباب		05
صوت خارجي نسائي لمصلحة تونيزيانا "لقد نفذ رصيدكم"			06
			07

صوت خارجي نسائي " يكفي باش أَدْخَل الرمز"	يستعمل الجوال للاتصال		08
"نجمة123نجمة أو تكتب النومرو إلى تحبو يطلبك"	يشكل الرقم على الجوال للمصلحة (أطلبني)		09
			10
صوت خارجي "أمبعد تضغط على دياز أو تطلب"	شابة تستقبل رسالة على جوالها		11

112

صوت نسائي (خارجي) "أو بلوقت تونيزيانا تبلغو الرسالة	تظهر الرسالة على الجوال	 صورة مجانية عند كل إعادة شحن	12
مجانا"	تستمع		13
الشاب يقول (صوت داخلي) "أمان حلي الباب" أمان = رجاء	الشاب يتكلم بجواله منتظرا أمام الباب	 	14 15

صوت خارجي رجالي "أو مايتسكر باب	الشابة تفتح الباب		16
كان يتحل الباب"			17
صوت خارجي نسائي "مع تونيزيانا" صوت خارجي رجالي "يوفي المال و يقعد "l'appel	ظهور لوغو تونيزيانا "مصلحة أطلبيني". ثم الخطاب اللساني في الأسفل "يوفي المال و يقعد "al appel !		18

أخذنا الخطاب إلى فضاء يرتبط بعالم المدينة وما تتمتع به من خصائص هندسيّة وتواصل عمرا ني قصد التعريف بالمنتوج الجديد «تونيزيانا» والحث على اقتناؤه وفق رؤية إشهارية تجمع صورة المدينة بصورتي الشاب والشابة ذلك «أنّ منطقية الإدراك في الإجراء السيميائي عبارة عن حساب من التمثيلات، حيث يعمد فاعل (Actant) على بذل تمثيلات يستطيع خلالها فاعل آخر القيام بعمليات، وعلى وجه الخصوص عمليات مقارنة. أما التمثيلات الدائرة بينهما فعبارة عن أشياء معرفيّة أو إدراكيّة»¹. وفي هذا المنحى تتضح رسالة الخطاب الإشهاري إذ يجد الشاب (الفاعل) صعوبة في الاتصال بالشابة (الهدف) نتيجة وجود مانع (opposant) يتمثل في بعد موقع المستقبل (Destinataire) وانغلاق الباب، فيعتمد إلى الهاتف الجوّال كمساعد (Adjuvant) ومن ثمة تتحوّل العلاقة من حال انفصال (R.de disjonction) إلى اتصال (conjonction).

¹ Driss ABDALI. La Sémiotique du texte L'Harmattan. Paris.2003. P241

إذا كانت الرسالة الإشهارية تتعلّق دوماً بفعل التعريف والبيع على وجه الخصوص، فإنّ ذلك بني على حركة شكّلت مساراً سرديّاً تمثل في خروج الشاب من الخباز ماراً عبر زقاق وصولاً إلى بيت الفتاة. فكان سيره المنتظم بمثابة نظام سردي ممثلاً في برنامج (programme) اتضح خلال الخطاب المرئي، لأنّ «الصورة الإشهارية تسعى إلى تعميم مضمونها وتوسيع دائرة فعاليته استناداً إلى تسريد العلاقات الاجتماعية، وتقديمها على شكل أدوار ومواقع ووظائف. ولهذا، فإنّ الوصلة تتحوّل إلى مضمون قصصي ترقّد فيه كل الحكايات لتجسيد هويّة منتج ما».¹

لقد عمل الخطاب الإشهاري على عرض المنتج في قالب قصصي متجدّد في الآن الجمعي كجنس سردي مهم وفعل لما يتضمنه من مواضيع مختلفة ترتبط، بالأبعاد الاجتماعية وفي مقدمتها البعد العاطفي «فالخطاب الإشهاري يهتم بالمشاهدة ويسعى إلى التأثير في مناحيه الفكرية والنفسية، ليتسنى له بسط نفوذه وتحقيقه لفعل الشراء».²

ومن هنا تظهر حقيقة البحث في العلاقات المجرّدة للخطاب انطلاقاً من العلامات الموظّفة والتي تبدو غير متجانسة في شكلها لأفراد مما يدعوننا إلى التساؤل عن حقيقة وجود ملمح من المدينة. يشكّل المشهد العمراني انطلاقة أوليّة لبناء فضاء الخطاب بدءاً بصورة المدينة العتيقة المتمظّرة كعلامة ثقافية وحضارية إلى جانب دكان «الخباز»، حيث يمثل الجانب العمراني «شكلاً من أشكال التواصل، لأن الرجل البدائي اكتشف المغارة كملجاء. ومن غريزة الأكل والشرب كتفكير أولي راح يتطّلع إلى متطلبات جديدة حول كيفية تنظيم المغارة وترقيتها».³

تتضح حقيقة العلامة العمرانية كدال يحيل على دلالة معلومة من خلال الوظيفة التي يؤديها أو الحالة التي يكون عليها. وفي هذا الصدد يرى (إيكو) «أن شكل النوافذ أو عددها أو توزيعها على واجهة المنزل لا تبرز فقط وظيفة بل تحيل على إيديولوجيّة المبنى وثقافته».⁴

اعتمد الخطاب طابع الخصوصية كونها «تشر كل فرد أن الرسالة موجهة إليه بحسب درجة استيعابه مقتضبة وحاملة لمعاني الاحترام».⁵ إننا نعثر على تدرج خطابي ينطلق من الإثارة والإخبار إلى غاية الإيضاح ثم التعزيز مما يأخذ شكل البناء الهرمي. فيعتمد في مستهل الأمر إلى وضع المشاهد في فضاء الخطاب من خلال ملفوظ «أطلبني». وهو ملفوظ مستغلق لا يفهم إلا بإردافه بالمتواليّة اللفظية «أطلبني خدمة تونيزيانا جديدة». ثم يشرع في شرح الخاصية الجديدة في الاتصال عبر مراحل كلامية مشفوعة بالصورة ويختتم الخطاب بـ «آلو...» وصولاً إلى «مع تونيزيانا يوفي المال ويقعد إل Appel».

¹ سعيد بنكراد : سيميائيات الصورة الإشهارية. ص 65.

² Jaques TERRASA. L'analyse du texte et de L'image. p 142.

³ - Umberto ECCO. La structure Absente. pp261.262.

⁴ ibid.p273.

⁵ -Francis FEHR. Publicité. P.22

إنّهما متوالية شبيهة بالكلام الوارد في الخرافة أو الحكاية الشعبية «ما يغلي بلاد حتى يعمر بلاد». جاءت المتوالية في الخطاب الاشعاري متناصّة مع موروث شعبي حكائي تظهر فيه شخصية الراوي وخصوصيّة القول. ومما ينبغي التوقف عنده في هذا الخطاب «تعدد الوضعيات اللّسانية مما يؤكد أن المتكلمين يغيرون اللّغة، لا حسب الوظائف والوضعيات الاجتماعية حيث يوجدون، ولكن داخل الوضعية ذاتها»¹.

لقد توافرت في خطاب "تونيزيانا" مجموعة من الخصائص اللّسانية والكلامية، توصّلت إلى رسم صورة المجتمع التونسي من خلال التّأليف بين ملفوظات تواصل شعبية وأخرى أجنبية، فضلا عن خاصيّة التلقّظ التي تجعل المشاهد يدرك جغرافية الخطاب وخصوصية المجتمع، ذلك أن التلقّظ عبارة عن وضع ملفوظ في وضع نطقي لحالة تواصلية. ومن خلال تتبعه يتضح «أن المتوالية تخرج عن المسار التلقّظي الخام لتشكّل حدثا تواصليا، إذ يقابل فيه الملفوظ التلقّظ»². فيحيل الخطاب على مجتمع له خصوصياته التلقّظية دون غيره. مكنتنا حركة الشباب من الخباز وعبر رفاق من الاطّلاع على فضاء له امتداد في التاريخ. فهو لا يمثل مجرد مكان بقدر ما يكشف عن حضارة داخل هذا الفضاء ذات اختيارات شتى. فقد سعى "بارت" إلى إعطاء «صورة جديدة وحية حول كيفية دراسة المدينة والعمران في أواخر الستينيات من منظور شمولي يترجم رؤية أكثر معرفية. غايتها بناء برامج عمل منطلقه العلامة، وغاياته التأكيد على اهتمام القراء، كونها مفتاحا للكشف عن العوالم المجهولة»³ جسّد الجانب العمراني ملمحا من ملامح الإبداع الفني يتجلّى في حقائق تاريخية وحضارية انطلاقا من علامات عمرانية كالزقاق الضيق، وكذلك الأقواس المعبرة عن البعد الديني والثقافي للمجتمع. كما يمثل الفضاء العمراني في الوقت نفسه تواسلا اجتماعيا واقتصاديا وفنيا نتيجة الانسجام الحاصل في حركة الشاب، مما يعكس حيوية المجتمع وحركيته. ويبرز «أن الفضاء المكاني عبارة عن كلام غير شفوي مثلما اعتبره كل من "قريماس" و"إيكو"»⁴.

تتواصل أجزاء المدينة ببعضها البعض انطلاقا من الموضوعات والحاجات، وعلى أصغر مستوى. يتوفر ذلك التواصل في البناء الواحد كالمنزّل، حيث تكشف عناصره عن تواصل خفي يعكس العديد من المواقف الاجتماعية والدينية والثقافية وغيرها بدءا من الباب واستقباله للشمس على غرار جميع الأبواب القديمة تكريسا للمعتقد. ثم يأتي دور الغرف في تقاربها وتباعدها، كغرفة الضيافة فضلا عن تركيبها المتراوحة ما بين التقلّص والانبساط بحسب عدد أفراد الأسرة. أما حضور الأقواس في الأزقة فليس إشارة إلى البعد الإسلامي فحسب، وإنما فن العمارة العربي التركي يعتمد الأزقة الضيقة حفاظا على تماسك المنازل وكسر أشعة الشمس وقوة الريح، مع

¹ - Martin REGEL. Grammaire Méthodique de français. Larousse. 1974. p51

² - Dominique MAINGUENEAU. L'énonciation en linguistique. Hachette. Paris. P33

³ Roland BARTHES. Sémiologie et urbanisme. L'aventure sémiologique. Paris. le Seuil. 1985. 261

⁴ Voir Sylvia OSTROWETSKY. Sociologue en ville. Troisième partie "La ville en langue". L'harmattan. Paris. 1996. p92

المحافظة على التهوية الكافية. وهو ما يبرز حقيقة «استعمال وقابلية المحيط الجغرافي أكثر من الفيزيائي. فالأول يحتوي الحياة وكذلك الإنسان وتطلعاته»¹.

عمل المشهّر على خلق الفضاء الإشهاري الملائم ليضع مشاهده في وسط مألوف يتواصل معه فكرا وعاطفة، ومن ثمة يكتسب ثقته ويعمل على إيصال رسالته. فكانت "السويقة" منطلق الخطاب كونها الفضاء الدال والأنا الجمعية للمجتمع التونسي، لأن استحضار الجانب العمراني الممثل للسويقة هو مخاطبة امتداد تاريخي واجتماعي مألوف انفتح على منتج عصري "تونيزيانا". والذي لم يخرج عن الفضاء المذكور لوجود علاقة وصل تتجلى في عامل الاتصال بين أفراد المجتمع وتحوله إلى مظهر حضاري جديد، وكأنه امتداد لكل ما هو أصيل. فالصورة أو المشهد التصويري، في حد ذاته، علامات أيقونية، تتضح ملامحها أثناء توفر المرجعية في أشكالها وأصولها المتنوعة. وقد يتعسر على المتلقي، أحيانا، فك شفرات الرسالة إذا كانت أكثر إيحاء، كون الخطاب الإشهاري يقوم على مجموعة من المقومات المعرفية ذات الأبعاد الفكرية والثقافية.

كما يعد الشارع لازمة أساسية من لوازم العمل العمراني. فهو بمثابة الشريان النابض لحركة المدينة، ولملحاً من ملامح بنيتها. يشترك مع غيره من الشوارع والأزقة في تشكيل الفضاء العام للمدينة وفق ما تتطلبه الحاجات، مفرزا بذلك نشاطا وظيفيا له العديد من الأبعاد المعمارية والاجتماعية، حيث يذهب علماء الاجتماع إلى «أهمية النقل والاتصالات في إحداث التفاعل البشري الذي يؤدي إلى نمو المدينة. لأن السبب الرئيس لنمو المركز الحضاري واتساعه وامتداده يتمثل في سهولة الاتصالات الدائرة بين الأفراد، وفي يسر الانتقال من مكان إلى آخر، بل إنهم يذكرون أن هيكل الاتصال أفضل الأسس لتقييم ثقافة مدينة»².

إن انتقال الشاب من الدكان إلى الدار لا يشكّل مسارا عاديا فحسب، بل جاء تعريفا بنظام عمراني يبرز في شيء من التميّز المرافق والخدمات في تألف وتناسق حسب ما تدّعيه الحاجات المناخية والعمرانية «مما أدى إلى تحقيق ظل ذاتي نتج من استغلال تظليل المباني المتجاورة كوسيلة طبيعية لعزل الواجهات الخارجية للمباني، وكذلك كل الشوارع وممرات المشاة. وقد حتمت تلك الرغبة توجيه التكوينات المعمارية بالأوضاع التي تحقق ذلك وتهيئها بصورة بصورة طبيعية تحقق بعضها من السيطرة على مختلف الظروف المناخية العامة»³. وهو ما خلق علاقة حميمية ما بين الإنسان والشارع يعتبرها الباحث عرفان صبري «كاملة خلاف ما نجده مثلا في شوارع المدينة المعاصرة، حيث يسيطر الشارع على الإنسان وحركته»⁴.

¹ Albert DEMANEAU. Le milieu géographique physique. Ed puf. Paris. 1942. p 28

² حسين رشوان، المدينة دراسة في علم الاجتماع الحضري، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1982، ص 89

³ أحمد محمد عبد الله، المناخ والعمارة، دراسة تحليلية للعوامل المناخية وأثارها على عمارة المناطق الحارة، رسالة ماجستير مقدمة لكلية الفنون الجميلة، الإسكندرية، ص 216

⁴ - عرفان سامي، نظريات العمارة، دار المعارف، القاهرة، ص 15

إن العلامات العمرانية المشاهدة في الخطاب الإشهاري كشفت عن دلالات ذات أبعاد تاريخية وإيديولوجية واجتماعية من خلال الانتقال من وضع إلى آخر، تنحدر من « مرجعية المهندس الفكرية والإيديولوجية والاجتماعية وحتى الثقافية »¹

وتتحول المدن إلى علامات في شكل موازنة ما بين مدينة قديمة وأخرى جديدة من خلال علاقات الاتصال وكذلك الشعارات التي تحملها كل مدينة، ومن ثمة تتجلى الدراسة السيميائية لتمثيلات المدينة انطلاقاً من الفواعل العامة (Actants Sujet) إذ يمكن التمثيل لها على النحو التالي :

س = زقاق

س1 = المكونات العمرانية

س2 = السكان

س3 = المؤسسة المسيرة

إنّ كلّاً من س1، س2، س3 عبارة عن فواعل جماعية منتمية إلى (س) لكنها تحمل دوماً معطيات مختلفة في الوقت الذي تنتظم فيه إلى جانب بعضها بعض. فالمدينة لا معنى لها في غياب الفواعل المذكورة والتي تعرف بالعوامل (Sujets). فهي تشكل جميعها حقيقة الزقاق من خلال تواصل الفواعل البشرية بغير البشرية وتشكيلها لدلالة واضحة.

ع1 = خاصية عمرانية 1

ع2 = خاصية عمرانية 2²

تمثل كل من الخاصيتين العمرانيتين نظامين كبيرين يتعلّقان بالتمثيل وتعريف العلامات العمرانية كأشياء تتحوّل إلى فواعل (Actants) في المسار السردى الذي تشكّله الأزقة والشوارع كمصطلحات أولية للمربع السيميائي، طالما أنّ الأمر يتعلق بصنف دلالي (فالمصطلحات تتضمن علاقات تضاد) في إمكانها أن تتطور من خلال إجراء تغييرات ذات نظام منطقي من خلال علاقتي الإثبات أو النفي (Assertion et négation) فوظيفة الاتصال أو الانفصال تمكّن من إبراز العلاقة الرابطة ما بين الفاعل (Sujet). ويتضح التواصل من خلال الاتصال أو الانفصال، حيث يتعلّق الأمر بالعلاقة العميقة المنعكسة على المربع السيميائي وداخل البرامج السردية إذ تأخذ هذه العلاقات معناها داخل البرنامج السردى

يتعلق الأمر بوظيفة تضع الفواعل في علاقة (أشياء وفواعل) حيث تصبح مؤلفة من ملفوظين ملفوظ لأجل التعبير (Faire exprimer) وملفوظ حالة (énoncé d'état) مبرزاً اتصالاً أو انفصالاً ما بين مختلف الفواعل.

و = وظيفة

و {س1} ← {س2 ع1} ³

¹ Umberto ECO. La Structure Absente. P273

² - Laurence BARDIN. L'analyse de contenu. p 137

³ - Ibid. p 137

حيث تتضح لنا المعادلة كالآتي س1 (عامل الفعل) (Sujet de Faire) علما أنّ س2 (فاعل حالة) يكون قرينا ل
ع1(الشيء)

يستخدم س1، س2 بكيفية لأجل الوصول إلى حالة الاتصال مع ع1.

كما يجب تحديث نمط البنية العميقة اعتمادا على بنى سطحية تعطي أصواتا ومعاني إلى البرنامج السردى.
ولأجل تحقيق برنامج سردي سيتوجب على الفواعل وضع كفاءات تحددها السيميائية البنوية ب الرغبة في
الفعل (vouloir faire) والقدرة على الفعل (pouvoir Faire) ومعرفة الفعل (Savoir Faire). ثم وجوب الفعل (Devoir Faire). وردت مثل هذه الكفاءات في الخطاب الاشهادي (تونيزيانا) من رغبة الشاب في الاتصال بالفتاة من
خلال القدرة التي أبداها في طرق الباب أولا ثم في لجوءه إلى الجوال من باب المعرفة، وأخيرا استعماله . فهو يمثل
العلاقة الأساسية في التواصل الذي يتحقق ب"تونيزيانا" وينعدم دونها.

تونيزيانا ع تضاد لا تونيزيانا

تواصل ع تضاد لا تواصل

كما أنه في الإمكان معالجة النظام العمراني الوارد في الخطاب وفق ما يعرف بالتضاد الزوجي قصد
استخلاص علاقة النوع من حيث أنّ أ/ ج . ب/د

إذ تحيل كل من أ وب على عناصر من الفضاء العمراني أما ج ود فعلى الدلالات لتأتي المرحلة الثانية والمتمثلة
في الربط ما بين الدلالات كأن يمثل الدكان الفضاء العمراني الأول (أ)، أما الزقاق فيمكن تمثيله بالفضاء العمراني
الثاني (ب). إذ يحيل الأول على دلالة حرفيّة لها أبعادها الحضارية الاجتماعية ، كون المجتمع متحضرا يؤمن
بالتخصص في المجال الحرفي ، ولهذا الغرض أفرد للخباز محل له مميزاته العمرانية، بينما تحيل العلامة الثانية
(الزقاق) على فضاء أوسع بمثابة الشريان النابض تنتظم داخله البيوت وجميع المرافق الحياتية الأخرى.
ويتضح في آخر الأمر علاقة تواصلية ذات أبعاد بلاغية تؤكد تناسق تلك المرافق وترباطها وفق ما تقتضيه حاجة
الفرد لأن افتقار علامة عمرانية يؤثر سلبا على المفهوم العام للتواصل العمراني.

سيميائية الخطاب اللساني.

يدخل الخطاب اللساني كمكوّن فاعل في بناء الخطاب للإشهادي ببعديه الشفوي والمكتوب اعتمادا على
علاماته ذات الدلالات المختلفة ، غير أنّ حقيقة وجود الخطاب اللساني ترتبط بالبناء العام من خلال التطابق
الحاصل ما بين المشهدين التصويري والمنطوق لنلمس حقيقة الانسجام الناتج في هذا المستوى ، والذي يسميه
(إيكو) (Ecco) بمستوى التماثل أو التطابق ما بين الصورة والصوت (Niveau de L'enthymème) حيث «تستند
العلامة الأيقونية إلى الخطاب اللساني على الرغم من أنّ الخطاب المرئي استطاع أن يحقق لنفسه دلالات
ثقافية عالمية»¹.

¹ -Umberto ECO. La Structure Absente. P.184

ومن خلال مراجعة الخطاب اللساني نجد أنه يسير في الاتجاه الحاضر كي يجعل فكرة التواصل حيّة ممتدة لأنه « في حال التلقّظ الكلامي نجد أنّ الاتصال يجري في الحاضر *in presentia* متّخذاً شكل الخطيّة الزمنية التي تترك صداها في ذهن المستمع »¹.

وقد اعتمد الخطاب مبدأ الذاتية في مستهل الأمر من خلال ملفوظ (الياء) الملحقه بالمتكلم والمكررة في متواليات يمكن اعتبارهما متواليات تمهيديتين طالما أنهما كشفتنا عن جوهر الرسالة. ثم سرعان ما يرد ملفوظ (الكاف) والمرتبطة بالمخاطب في نهاية المتوالية التمهيدية وتردده في مقدمة المتوالية الرئيسية ليظهر أثرها في صورة المخاطب للجمع (استنفذتم)، لكن سرعان ما يعود الخطاب مجدداً بين الآن والأنا « لأنّ كفاءة الاتصال تتطلّب الكشف عن الأشكال الكلامية لدى المستمع لأجل تحسين الوضعية ومن ثمة الخطاب ككل »². وإذا كانت مثل هذه الآليات التلقظية متوفرة في الخطاب، فإنّها تغيب في خطابات إشهارية أخرى « محدثة قطيعة مع الآليات السابقة قصد إشراك المشاهد »³ غير أن الشائع دوماً هو حضور آليات التلقّظ *Les embrayeurs* والمتمثلة في مجموع العمليات المساعدة على دمج الملفوظ في وضعه التلقضي كالضمائر أنا/نحن/أنت/أنتم أو ي/ك/نا/كم أو لي/لك/لنا/لهم ، حيث يرى مانقينو أنّ لمثل هذه الآليات بعداً « زمني وفضائي فالزمانية ترتبط ب: أمس، غدا، اليوم، منذ يومين، خلال عام، يتمثل ذلك أثناء التلقّظ. أما الآليات المكانية فأقل حدوثاً انطلاقاً من النقطة المشكّلة للمكان والمؤسس بدوره للتلقّظ »⁴

إنّ تردد ضمائر المتكلم أو المخاطب في الخطاب الإشهاري توجي بحركيّة مستديمة في الحاضر جاعلة الاهتمام منصباً على الآن « لأن غاية الخطاب تتجلّى في البيع، ومن ثمة استوجب حضور المخاطب في بناء لساني تصاعدي يبدأ بذكر المنتج ثم كيفة استعماله ، وأخيراً خاتمة داعمة لفكرة البيع يمكن توضيح ذلك من خلال الرسم التالي.

¹ -Josette REY DEBOVE. La Linguistique du Signe. P67

² -Josiane BOUTET. Langage et Société . Seuil. Paris.1997.P13

³ -Dominique MAINGUENEAU. Analyser Les textes de Communication. P109

⁴ -ibid. P88.

أطلبني

مقدمة الخطاب

أطلبني خدمة تونيزيانا جديدة

التي تمكنك باش تتصل بالّي يحبّ علي

حتى كان كنتك (احتجت) ما فيش حتى (V. Off)

لقد استنفذتم رصيدكم (V.OFF)

جوهر الخطاب

يكفي باش ادخل الرمز

نجمة 123*123

وتكتب النيمرو آلي تحبّو يطلبك

وفي الوقت تونيزيانا تبلغو الرسالة مجاناً (V.in)

خاتمة الخطاب

آلو (صوت فتاة) مرفوق بصورة

أمان حليّ الباب (صوت شاب) (V.in)

وما يتسكر باب كان يتحل باب (V.OFF)

مع تونيزيانا يوفى المال ويقعد Appel

وهي تركيبة تدعى بالبنية الحرة (Structure) نتيجة ارتكازها على ثلاثة مراحل مما « جعل الملفوظات اللسانية تستطيع المشاركة في بناء المعنى انطلاقاً من وحدات صوتية، إيقاعية وحتى نصيّة »¹.

لقد عملت الوحدات الصوتية الصغرى الدالة والمعروفة بالفونيمات على تشكيل بنى صوتية كبرى من خلال القوانين الداخلية التي يحتكم إليها القانون التركيبي كملفوظ "اطلبي" المؤلف من ثلاثة فونيمات وهي "أط" "لب" "ني" تستحكم في نهاية الأمر عند ملفوظات أكبر، يرى بموجها (أندري مارتني) (A. Martinet) «أن الكلام البشري متمفصل، كما أن الحقيقة هي توافر جميع اللغات على هذه الخاصية. وهو أمر لا يرقى إلى الشك.. حيث يتم التمثيل على مستويين مختلفين إلا أن العلاقة تظل حاضرة ما بين وحدات التمثيل الأول ووحدات التمثيل الثاني»².

إن أبرز ما يميّز به الخطاب اللساني هو توقّره على ملفوظات بمثابة علامات لغوية تحيل على دلالات خاصة في طابع إفرادي لكنها تكسب فضاء دلالي من حيث تواصلها مع الملفوظات الأخرى يعرف بالشكل الخطّي للغة كون «كل لغة تتمظهر من خلال رسم خطّي من الملفوظات تؤلف ما يعرف بالسلسلة الكلاميّة "chaîne parlée" حيث تسير الملفوظات بالضرورة داخل الزمن كما تستقبل وجوباً عبر السمع في وضع متتابع»³.

¹ - Marie Anne PAVEAU. Georges Elias SARFATI. Les grandes Théories de La Linguistique. Armand Colin. paris.2003.p167

² -André MARTINET. Eléments de Linguistique générale. p13

³ - ibid. P16

فملفوظ «أطلبي» قد تتعلق دلالاته بفعل الأمر لكنها سرعان ما تتواری وراء دلالة جديدة تبرز تحوّل تلك العلامة اللغوية من طلب فعل شيء على وجه الإلزام إلى ملفوظ ترتبط دلالاته بالعرض التجاري، لأنّ ذكر هذا الملفوظ يحيل مباشرة على المنتج الجديد وعرض خدماته. ويقابل مارتيني Martinet الملفوظات بالتمفصل الأول «حيث تقابل وحداته الدوال كونها تتضمن دلالاته كاملة يمكن مقابلتها بعلامة لغوية ترد كدال يستجوب الإحالة على مدلول»¹.

فالعلامات اللسانية الموظفة في هذا الخطاب لا تتطلّب إعمالاً للفكر قصد فك شفراتها. فهي دوال مستمدة من حياتنا اليومية بما في ذلك وحداتها الصوتية «كون اللهجة الأجنبية تنحدر من خلال معرفة الوحدات الصوتية المغايرة للوحدات في اللغة الأخرى»². فهي ملفوظات لا يتأثر الخطاب لفقدانها ولكن في استطاعتها ضمان تلك الحركية الخطابية والعاطفية، غايتها التأكيد والإيضاح ولعل الدليل على ذلك بعدها عن المنحى الإيحائي، فضلاً عن ارتباطها بالخطاب المصوّر ومسيرة الخطاب اللساني المرئي، بل ومطابقته له في اللقطات التوضيحية. وهو ما يعرفه (أمبرتو إيكو) بالمستوى الإيكولوجي الذي يبرز الموائمة ما بين خطابين متباينين بل وحتى داخل الخطاب الواحد لأن «توافق المتكلمين في اللغة يمكن كلّ متكلم من معرفة عالم الآخر انطلاقاً من العلامات المشتركة والموظفة في التواصل، في حين يتعذر الأمر إذا كان المتخاطبان من فضائين مختلفين»³.

انتظمت العلامات اللسانية في خط زمني واحد على خلاف النصوص الإبداعية الأخرى أين تلعب الحركة الزمنية دوراً مهماً في توجيه المسار السردى والقارئ على حد سواء، في الوقت الذي اكتفى فيه الخطاب اللساني الأشعاري بالحاضر حرصاً على خلق النبض النصّي ورسم الفضاء الزمني الكفيل بإقناع المستهلك، وإيلاء أهمية إلى العملية التواصلية. وفي هذا الصدد يرى كورتاس (Courtes) «أن العلامة اللسانية المتمثلة في الفعل «أعطى» لا تبرز حقيقة المانح فحسب وإنما "تمثل الممنوح وكذلك حال الحركة والفعل والهيئة»⁴. وهو وضع ينسحب على علامة «أطلبي» وما تحدّثه من رد فعل لدى المشاهد يجمع ما بين الطلب والإخبار والإثارة تجتمع في نفسية المتلقي. أما عن غلبة المخاطبة، فإنّ الأمر يتعلق «بالحالات النفسية للتلقّظ ولهذا الغرض يأخذ طابع الأولوية» لأنّ للعلامات اللسانية المخاطبة النصيب الأوفر من البناء مثل: «أطلبي، تمكّنك، تتصل، تحب، كتك، استنفذتم، تدخل، تكتب، تحبّو». فهي علامات لسانية انفتحت على المستقبل انطلاقاً من الحاضر مفضلة المخاطبة.

قصد «إيلاء المخاطب أهمية كما تجعله يحسّ أنه بعيد عن الذاتية»⁵. ويرى (فونتاني) (j.fantanielle) أن «تحقيق خطاب نفسي يستوجب توفر رسم خطاب يعتمد اليقظة الحسية وتوفر الآليات الخطابية الكفيلة

¹ -ibid. P16

² -ibid. P13

³ -joseph COURTES. La Sémiotique du Langage. P17

⁴ - ibid. P49

⁵ -jaques FONTANILLE. Sémiotique et Litterature.p108

بالإقناع فضلا عن المحور العاطفي»¹. كما توفر الخطاب على ملفوظات فاعلة تعرف بالملفوظات المفاتيح (Enoncés clés) وأخرى مساعدة

الملفوظات المفاتيح	الملفوظات المساعدة
أطلبني، تونيزيانا، تتصل، "كتل" (احتجت) تكتب، تبلغو	خدمة، حتى، كان، ما فيش يكفي، باش، آلو، أمان، على الباب، ما تسكر باب، كان يتحل باب.

إن الحضور المكثف للملفوظات المساعدة مكن من توجيه اهتمام المشاهد إلى جوهر الرسالة كونها الضامن لحركية الخطاب وترسيخه في ذهن، مثلما يرى باتريك هاس (P. Haas) أنّ «تعيين الملفوظات الأساسية لا يتأتى إلا من خلال ضبط قائمة الملفوظات المساعدة المحددة للدوائر الزمانية والمكانية والضامنة لمسلك المشاهد»². وتعمل جميع الخصائص اللسانية المذكورة على إنجاح الرسالة الإشهارية وضمان فعل البيع الذي لا يتحقق إلا من خلال التعريف بالشيء Faire Savoir ثم البيع Faire Faire (vendre).
سيمائية اللوغو

يعد اللوغو شكلا من أشكال الاتصال على الرغم من التوقع الخاص الذي اتخذته كونه لا يتعدى حيّزا معلوما تتحدد داخله العديد من الآراء والمواقف المشتركة لأجل رسم الهوية البصرية للمؤسسة «والتي تضم كل التمثيلات التصويرية المعبرة عن صورة المؤسسة، ومن ثمة فإن الهوية البصرية تعتمد إلى توزيع خصائص الصورة بشكل متميز كتوزيع انعكاسات الأضواء الملونة»³.

يتألف اللوغو، على العموم، من مجموعة علامات كأن تكون لسانية وإيقونية فضلا عن مكونات أخرى تنتظم جميعها داخل فضاء علامة اللوغو، حيث يصبح التعامل معه أمرا مهما نتيجة الدلالات الجزئية الصادرة عن المكونات وما تحمله من رسائل في صورها الافرادية ثم في انتظامها، إذ «تعمل تلك العلامات على التعايش في ذلك الفضاء قصد التأثير في أحاسيس المشاهد وتيسير عملية البيع»⁴.

كما يمثل اللوغو المرحلة الختامية للخطاب، مختزلا في الوقت نفسه جميع ما جاء في الرسالة الإشهارية من عتبات انتهت جميعها إلى مستطيل ذي لون أحمر توسّطته حركة دائرية صفراء مدعمة بملفوظين لسانين، الأول باللغة العربية "تونيزيانا". أما الثاني باللغة الأجنبية "Tunisiana". ويحد المستطيل فضاء أسود اللون كتب عليه ملفوظ "أطلبني" باللون الأحمر. بينما في أسفله نجد متواليّة لسانية باللون الأبيض "يوفي المال ويقعد ال L'appel، مما يعني أن اللوغو «علامة مركبة تؤدي وظيفة خاصّة تحمل دلالات لسانية وإيقونية. كما يعد اللوغو أقصى تلخيص، يعطي معادلا بأقل ما أمكن من الخطوط»⁵.

¹ -ibid. P86

² -C.R.HAAS. pratique de La publicité. p123

³ -Alain JOANNES. Communiquer Par L'image. P35

⁴ - ibid. P29.

⁵ -F. DAGONET. Etage de L'objet pour une philosophie de la marchandise. Vrin. Paris. 1970. p170.

123

إن حقيقة التعامل مع اللّوگو تستوجب الانطلاقة من شكله العام الذي هو بمثابة علامة سيميائية دالة « فالمستطيل يوحي بفكرة التوازن والثبات، كما يساعد الإنسان على تحسس موقعه و ضمان تسيير منتظم لعالمه من خلال خطوطه الأفقية والعمودية والحاملة لأفكار معبرة عن القوة وعن البناء الحامي والمؤمن »¹.

وإذا كانت هذه الدلالات متعلقة بالمستطيل في فضائه الخاص، فإنّ علاقته بالخطاب الإشهاري تأخذ في الاتساع والتواصل لأن المنتج المعروض يؤكد بدوره على تلك الدلالات المشار إليها في شكل مختزل كالتوازن والثبات والانتظام. وقد عمل اللون الأحمر على إبراز صورة اللّوگو اعتمادا على الخلفية السوداء. مما يعني أن اللون ذو دخل مباشر في الإنارة إطار الإحساس مثلما أحدثه اللون الأحمر من جذب واستقطاب لعين المشاهد كونه « لون ساخن يعد من أقوى الألوان يعمل على التأثير اعتمادا على موجاته القوية المؤثرة، يحمل في الوقت نفسه دلالات نفسية تقنية وأخرى رمزية »². وإذا كان اللون الأحمر يوحي « بالقوة والسيطرة والحب والدم » وغيرها من ملامح السلطة والتفوق، فإنّ مثل هذه الدلالات تختفي وراء الدلالة الرئيسة الدالة على الوطن حيث تصبح أحادية Monosémique بعد أن كانت متعددة polysémique لأنّ معاني وأبعاد العلم تخضع للفعل التوافقي لا التأويلي. وهو الحدث المشترك لدى جميع الأمم. أما عن حضور اللون الأبيض فهو بمثابة العلامة المكملّة للعلم التونسي والمحدّد في كل من الأحمر والأبيض.

لقد أحالنا ملفوظ تونيزيانا على مرجع واحد، هو الوطن بجميع أبعاده مختزلا في اللّوگو الذي حملنا من عالم التجارة إلى ما هو أبعد، ساعيا إلى ربط المنتج بالوطن لغاية الاستيعاب والشمولية. أما حضور اللون الأصفر في حركته الدورانية إشارة إلى التغطية الشاملة والسريعة. فالدائرة توحى « بالقوة والفضاء والزمن والخلود »³. وانطلاقا من هذه الدلالات نلمس أن اللّوگو يكرس فكرة معرفة الفعل savoir Faire من خلال تركيبته المتميّزة والتي أعطت قوّة رمزية للعلامات الموظّفة ل « تتجلى قوّة اللّوگو من خلال قياسها بعدد الأفكار المشتركة والتي في استطاعته التعبير عنها في ظرف زمني قياسي »⁴.

وبذلك يكون اللّوگو قد استطاع أن يستجمع كافة العلامات من أيقونية ولسانية وغيرها قصد تشكيل ما يعرف بالهوية البصرية يراها الباحث جوا نيس عبارة عن إستراتيجية اتصال « تتضح من خلال مثلث يستجمع وظائف ومكونات الخطاب »⁵.

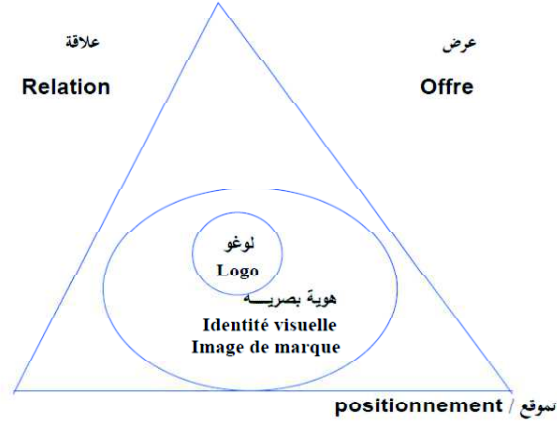
¹ -M. DERIBERE. La couleur dans La publicité et La vente .p73

² -ibid. P74

³ - FEHR. Esprit des Formes .p180

⁴ - Alain JOANNES Communiquer par L'image. p28.

⁵ -ibid. P54.



وما يمكن استخلاصه من اللّوغو المدروس أنه تضمن عناصر خطابيّة ثابتة وأخرى متغيرة . أما « الثابتة فتتمثل في التسمية واللّون، بينما ترتبط المتغيرة بالفضاءات المتغيرة من كتابة وما صاحبها من أشكال ومؤثرات »¹. إن حضور الخطاب اللّساني " يوفى المال ويقعد l'appel " تأكيد نهائي على غاية الخطابات التي وردت في بناء لساني احتكم إلى خصوصيّة الشكل والتركيب قبل المضمون، كون الخطاب ككل مؤلف من أربعة ملفوظات منتظمة في ثنائية ضديّة [يوفى المال ≠ يقعد l'appel] .

وانطلاقاً من هذه الثنائية تتبيّن لنا الغاية التي يرمي إليها الخطاب والمتجاوزة للعامل المادي، فضلاً عن ذلك فإنّ الشّكل الذي جاءت عليه الملفوظات يمثّل بدوره علامة دالة بدءاً من " تونيزيانا " حيث يتم استقبال شكل الكتابة على مستوى الصورة ، فتتصهر العلامة اللّسانية في فضاء البصريّة انطلاقاً من الأشكال التي تأخذها الحروف والمتمثلة في « القوة، الارتفاع، الانسجام، والتوجيه وهي شروط وجب توفرها في اسم العلامة التجارية »². فهي لم تعد مجرد حروف بقدر ما أصبحت علامات لسانية طباعية تحمل العديد من الدلالات أهمّها شكل الحرف وانفتاحه على الحرف الذي يليه في اتجاه منتظم يجعل منه عنصراً فنياً انطلاقاً من حجمه وقوّته وآساقه في البناء العام. فالأحرف المشكّلة للملفوظ " تونيزيانا " في اللّقطة 18 تبرز البناء الذي خضعت له مما جعلتنا نستقبلها في شكل صورة بصرية أكثر منها لسانية.

¹ - ibid. P35

² - Ursula BÄHLER, EVELYNE THOMMEN et Christina VOGEL. Donner du sens. P54